المحاضرة الخامسة عشر: تعليمية النص الفلسفي

تعريف طريقة التدريس بالنصوص. وهل هي تدريس بالأهداف أم مقاربة بالكفايات؟
هي عبارة عن منهجية منظمة تؤلف طريقة لها اجراءاتها المحددة.تقوم على إتصال وتواصل بين المعلم والمتعلم حيث التمهيد للنص والشرح والمناقشة وبالتالي الكتابة. يتخلل هذه الخطوات الإستماع إلى إجابات الطلاب والتشجيع على السؤال والمناقشة وإبداء الرأي.
إن تدريس مادة الفلسفة بالنصوص يؤدي إلى تحقيق كفايات لا مجرد تدريس بالأهداف وقبل الحديث عن إنعكاس طريقة التدريس بالنصوص عن الكفايات لا بدّ من تعريف الكفاية أولاً فهي"القدرة على القيام بعمل متقن أي الإتيان بسلوك محدد قابل للقياس والملاحظة يدل على تمكن صاحبه من العمل الذي يقوم به".(1)
وهذه الطريقة إذا ما طبقت بشكل فعال يتم التوصل من خلالها إلى عدد من المهارات المتنوعة التي تصب في النهاية ضمن إطار الممارسة العقلية والكتابة التحليلية النقدية الموضوعية للنص الفلسفي.
أ- ما هي الفائدة المرجوة من تدريس الفلسفة من خلال النصوص؟
حين يكون النص أداة بيد الطالب ويشكل الوسيلة التعلمية لفهم الدرس الفلسفي يصبح مناسبة طيبة ليتعلم الطالب من خلالها مفردات الفلسفة ومصطلحاتها العامة والخاصة، والمقصود بالخاصة عبارات كاتب النص وتقنياته التعبيرية. في إستخدام النص الفلسفي مباشرة من قبل المتعلم فتوضع الحدود تلقائيا امام المعلم ،فيبعد وجهات نظره الخاصة وأرائه التي كان من الممكن أن تسقط إسقاطا على ذهن الطالب وفكره كما يحدث غالبا في طرق الإلقاء.
يؤدي إستخدام النص أيضاً إلى تزويد الطالب بمعلومات ومعارف حول الفيلسوف والموضوع الذي يكتب فيه في نفس الوقت.
في التدريس بالنصوص تدريب على حب القراءة والمطالعة وتفتيح آفاق أمام الطالب ليتساءل أكثر حول الموضوع الذي يقرأ فيه وبالتالي تدفعه إلى البحث والإستقصاء.
ب-ما هي وظيفة إستخدام النص في الدرس الفلسفي؟
إستخدام النص يشكل المادة التي يتعامل معها الطلاب أثناء الدراسة. وهو "بمثابة وسيلة للولوج إلى عقل الفيلسوف والتعرف على طريقته في التفكير التي قادته لبناء نظامه المتكامل الراقي الذي يعلم دقة التفكير والتعبير وتسلسل الأفكار وحبكة الكلام وتعليل النتائج وحسن استخدام عمليات التفكير ، وكلها من الأمور الأساسية التي تلح عليها أهداف التربية عامة وأهداف تدريس الفلسفة خاصة".(2)
بهذا المعنى يصبح للنص تأدية وظيفة أو وظائف متعددة فإما أن يكون النص بحد ذاته الطريقة أو يشكل جزءاً من طريقة .ففي الحالة الثانية قد يكون بمثابة نشاط تمهيدي ونقطة إرتكاز للدخول إلى درس جديد.
أو دليل لتعزيز فكرة وإغنائها، أو صلة وصل بين درس وأخر، أو خلاصة لدرس فلسفي ما يقصد المعلم من وراء تقديمه أو مناقشته لتوليفة الأفكار التي تم النقاش حولها أثناء الدرس وفي هذه المراحل التي تم ذكرها يجب أن يكون النص من حيث الشكل نصاً قصيراً.
أما إذا عدنا إلى الحالة الأولى التي يدرس فيها النص كوسيلة قائمة بذاتها فإن هذا العمل يتطلب مراحل متعددة لا بدّ من الوقوف عندها مطولاً لأنها جوهر البحث ولبّه وبالتالي هي المنحى التطبيقي لفكرة تدريس الطرق الناشطة عبر التدريس بالنصوص.
ت-مراحل طريقة التدريس بالنصوص.
1- المرحلة التمهيدية أي مرحلة التعريف بالنص والوصول إلى صياغة إشكالية
ومرحلة التعريف بالنص تشكل مرحلة التقديم ووضعه ضمن السياق المطلوب لبداية الدرس الفلسفي. وهذا يوجب:

- التعريف الموجز بالفيلسوف صاحب النص وهذا التعريف يعني إعطاء لمحة عامة عن فكر الفيلسوف والمدرسة التي ينتمي إليها والمذهب الذي يدافع عنه بمقابل مذاهب أخرى أثرت أو قد تؤثر على مسار تفكير وتعبير الفيلسوف
- نوعاً من التمهيد يأخذ القارئ تدريجيا إلى الإشكال؛ فالمقدمة تتضمن شقين مترابطين:
- التمهيد للاشكالية
- التعبير عن هذه الاشكالية وصياغتها وطرحها.
من خلال الاجابة على السؤال التالي: ماهو السؤال أو الاشكال الذي يعتبر النص بمثابة جواب عليه أو معالجة له؟ نحدد السؤال المركزي الذي سنطرحه في آخر المقدمة؛
-
أما لصياغة التمهيد، فنطرح الاسئلة التالية:
- ما هو موضوع النص؟
- ما هو المجال او القضية التي يتحرك ضمنها النص؟
- ما هو المفهوم أو المفاهيم الاساسية التي يتمحور حولها النص؟
وتمثل عملية الأشكلة العمليّة الفلسفية بامتياز، ويتوقف إنجازها على الإنتباه إلى صيغة المساءلة في الموضوع الفلسفي والتحري في ما قد تحتمله صيغة الموضوع من تعدد للمستويات الدلالية قصد التمييز بينها والإحاطة بها ثم العمل على تحويل السؤال إلى مشكل من خلال الكشف عن المسلمات الضمنية لصيغة السؤال و بلورة رهانات التفكير فيه.
تمرين تطبيقي أول:
يقدم النص إلى الطالب في هذه المرحلة والمطلوب منه تقديم أولي للنص (من الفيلسوف- ذكر معلومات عنه وبإمكان المعلم الطلب مسبقا من الطلاب تحضير مختصر عن الفيلسوف الذي سيتم طرح النص له)وبهذا يكون الطالب قد شارك في إنتاج المعرفة عن طريق البحث والتفتيش
التلميذ كعمل منزلي : صياغة السؤال الذي يمثل النص إجابة عنه و تعيين الإجابة في ضوء ذلك
.
: الإجراءات العملية
-1لو تعاملنا مع النص على أساس أنه إجابات، ماهي الأسئلة التي يمكن أن نسائله من خلالها؟
-2ماهو السؤال الرئيسي الذي يجمع بين هذه الأسئلة ؟
-3ماهي الإجابة التي يقترحها الكاتب ؟
-4 . برهن على ذلك إنطلاقا من النص
-5 ماذا يستبعد الكاتب إذن ؟

-6 . برهن على ذلك من النص
-7ماهي الإشكالية التي يمكن بناؤها لهذا النص
2-المرحلة الثانية هي مرحلة شرح النص من خلال المفاهيم (المفهمة) إن هدف المفهوم:
أن يصبح المتعلّم قادرا على: – إجلاء العلاقات القائمة بين المفاهيم. – التمييز بين ما هو أساسي وما هو فرعي منها، وذلك في علاقة وطيدة بالمحتوى الفلسفي للنص . – تجنّب سوء فهم النص الناتج عن عدم تمثل للعلاقات الرابطة بين المفاهيم الواردة فيه أو الغفلة عنها تماما.
- لا يوجد مفهوم بسيط بل لكل مفهوم مكونات . والمفاهيم تعرف معانيها بحسب علاقاتها بالنظر إلى بعضها البعض ، كالأرقام في أنظمة الأعداد أو كالرتب العسكرية في نظام الجيش : فمفهوم " الآخر " – مثلا – يعلم بالقياس على مفهوم " الأنا " . لذلك يجب على مدرس الفلسفة (ودارسها) أن يكونا على دراية كافية بأهمية " المفهوم " ليس باعتباره الحجر الأساس في بناء النص الفلسفي فقط بل باعتباره أيضا المفتاح الذي يمكن القارئ من فتح ما أغلق من النصوص الفلسفية ، والمعبر الذي لا بد منه لفهمها وتوظيفها ، ثم هو الأداة الأساسية التي إن تمكن التلميذ

من القدرة على حذق استخدامها وتقديرها في سياقها، والتحكم في استعمالها، ثم في الأخير تغليب الإرادة الحرة في توظيفها توظيفا هادفا ، فإن التلميذ سيتمكن من الروح الفلسفية والمسك بزمام التفكير . تعتبر المفاهيم المحورية في النص بمثابة المفاتيح التي بواسطتها يلج التلميذ إلى أفكار الكاتب ومقاصده ويعتبر الكشف عن شبكة المفاهيم عملية أساسية لتمثل قضايا النص .
والتلميذ الذي سينجح في اتقان هذه الطريقة ، ستقع حمايته :ـ أولا : من التسيب المفهومي الذي يوقعه في " الشقشقة " اللفظية والعبارات البراقة الخالية من المعنى . ـ ثانيا : من التفكير الجوهراني والتشخيصي والمشدود إلى الحدس الحسي . ـ ثالثا : من الاعتقاد في ثبوتية معاني المفاهيم واندراج كل منها في ماهيات فكرية ثابتة لها ما يقابلها في الواقع فتتطابق مع حقيقته . ـ رابعا : من التعامل مع المفهوم كمجرد كلمة خالية من القيمة الفكرية المجردة . وبالإضافة إلى ذلك سيكسب التلميذ ـ بإتقان هذه الطريقة ـ القدرة على التحكم في المفاهيم ، وذلك بالتمكن من فهمها انطلاقا من النص المتضمن لها ، ثم توظيفها أو نقدها ، أو إعادة تنظيم النص وتمثله انطلاقا منها . وهذه الطريقة تفيد كثيرا في تفجير معاني النص من الداخل، دون أن يجد نفسه في حاجة أكيدة إلى إنارة خارجية بالالتجاء إلى معلومات أخرى أو نصوص تضاف إلى النص الأصلي ، بل يكفي أن ينتبه التلميذ إلى العلاقات حتى يتبين دلالة المفاهيم من بعضها البعض ، فيغدو معناها مرتبطا بمكانتها من النسق العام الذي يمثل بنية النص. وهكذا يفهم التلميذ ، أن " العقل " الذي يعنيه أفلاطون ـ مثلا ـ ليس هو " العقل " الذي يعنيه أرسطو ، وأن مفهوم العقل في التصور المثالي ، ليس هو نفسه في مدارس وتيارات مادية أو تجريبية ، ويطبق ذلك على كل المفاهيم الأخرى.

أ- القراءة الجيدة للنص بحيث يقرأ بإمعان أكثر من مرة وهذه القراءة تستتبع وضع خطوط أوإشارات على الكلمات والمفردات التي تشكل مفاتيح للنص. وتساعد في تفسير النص ومعلوماته.

ب – إبراز أن المفاهيم الفلسفية ليست مجرد وحدات معلوماتية ثابتة وإنما هي مرنة ، متحركة ، يتغير معناها من مجال إلى آخر ومن فيلسوف إلى آخر فدور الأستاذ يتمثل بإقناع التلميذ بأهمية المفهوم .وإعطائه قدرات فكرية تسمح له باستخراج دلالة المفاهيم من خلال شبكة العلاقات التي تقيدها بمفاهيم أخرى تتحدد معانيها بالتبادل.واكتساب التلميذ قدرات في التحليل لتمكينه من توظيف هذه المفاهيم بطريقة سليمة في الكتابة الفلسفيّة، وأخيرا الصعود بمستوى التلميذ إلى حد توليد المفاهيم وإنشائها والقدرة على تقويمها وتعريفها وإقامة المقارنات بينها والتصرف فيها بإرادة ذكية وهادفة]

وبرأي جيل دولوز:" ان مهمة الفلسفة الاولي هي خلق المفاهيم ونحتها وهي مهمة تنفرد بها الفلسفة عن باقي المعارف الاخرى من حيث كونها مبحثا ثوريا، جنيالوجيا لا يتوقف عن ابتكار المفاهيم وغرسها وسط الحقول المعرفية المختلفة، فالمفهوم عنده يمنع الافكار من ان تتحول الى آراء بسيطة والى مجرد محادثة او دردشة عابرة ..."

3- المرحلة الثالثة في التدريس بالنصوص هي مرحلة النقاش والجدال الفلسفي (الرهان)

إن هذه المرحلة ليست بمرحلة الشرح أي أنها لا توضح المفهوم بل تعمل على وضعه أمام النقد والمقارنة والمقايسة والتحليل لتقومه وتعالجه في ضوء النظريات المتعددة المقابلة الموافقة منها والمخالفة على حدٍّ سواء.

مرحلة النقاش هي مرحلة حساسة تتطلب الإدارة الحكيمة من قبل المعلم والتثقيف الفلسفي المفروض من قبل المتعلم لذلك كان لأهمية النقاش مكانة كبيرة خاصة من إمتحان وتقييم الطالب في الإمتحانات المدرسية في لبنان فعبر النقاش تطرح الافكار وتعرض إستناداً إلى الخبرات والمعارف والأراء والمواقف المتعددة.

مرحلة النقاش تختلف عن مرحلة الشرح بان الثانية هي محاولة تبني فكرة الفيلسوف وتوضيحها في حين أن الأولى هي حالة تجاوز لفكرة وربطها مع غيرها وإستخراج حيثيات صحتها

وخطأها ومقاربتها بالحقيقي ونسبيتها.كل هذا ضمن إطار تفكير منظم ومراقب يحكم على الأمور في عملية تداع حُر مضبوط للمذاهب والإتجاهات الفلسفية المختلفة.
ولا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى ألمعية وذكاء كبيرين لدى المتعلم المناقش وهذا ما يعرفه التدريس بالنصوص تارة بعد أخرى بهذا المعنى يستوقفنا قول "الان" للتأكيد:"كم من مرة وجدت في الصفحات التالية في الكتاب الذي اقرؤه ما كنت قد فكرت به وأنا اقرأ الصفحات السابقة فيه".
في هذه الكلمات دليل على أهمية مرحلة النقاش التي تتبع عملية الشرح وتستثير ذهن الطالب ليطرح أسئلة لاحقة لما يقرأ وبالتالي ليبحث عن إجاباتها وبهذا تتعمق معرفته ويقوى تفكيره الفلسفي الغاية من تدريس مادة الفلسفة.

4المرحلة الرابعة هي مرحلة الكتابة حول النص الفلسفي:

مع هذه المرحلة تتحقق كفايات الطالب المتعلم لدرس الفلسفة حيث تؤكد هذه المرحلة ما إذا كانت المراحل السابقة من تمهيد وشرح ومناقشة قد أدت غاياتها المطلوبة بشكل جيد فمرحلة الكتابة حول الموضوع تعني وصول الطالب إلى المهارات التالية:
* كتابة تقرير حول ما تم مناقشته:
ومعنى هذا التقرير أن يصبح الطالب الثانوي قادر على التعليق على النص ووضعه ضمن الإطار الصحيح في عملية فهم الدرس الفلسفي،إضافة إلى ذلك تقويمه شكلاً بتبيان مدى تماسكه وعدم التناقض فيه وتحديد مكانته بالنسبة لنصوص أخرى كتبت حول ذات الموضوع المدروس فيصبح الطالب قادراً مع كتابة هذا التقرير من إتخاذ الموقف من النص وبالتالي من القضية الفلسفية المطروحة.
بطاقة تقييم ذاتي للمتعلم : تحليل نص
كلا
نعم
المهارات أو الخطوات المطلوبة
1 هل صغت المقدمة؟
2 في المقدمة هل وضعت المسألة في إطارها الفكري؟
3 هل طرحت الإشكالية؟
4 في صلب الموضوع : هل حددت الأفكار الرئيسية؟
5 هل شرحت الأفكار الرئيسية؟
6 هل حللت الأفكار الرئيسية؟
7 هل ناقشت الأفكار الواردة في النص؟
8 هل استخلصت قيمة النص؟
9 هل ربطت النص بموضوع مواز أو نقاش جديد؟
في الشكل
1 هل نظمت الفقرات؟
2 هل كتبت بلغة صحيحة و بخط مقروء؟
في المضمون
1 هل أغنيت الموضوع بالأفكار؟
2 هل صغت الأفكار بتسلسل منطقي؟
3 هل استعملت الأمثلة و الإستشاهدات بشكل صحيح؟

الخلاصة والاستنتاج:

إن الوصول إلى خلاصة واستنتاج حول طريقة تدريس الفلسفة من خلال النصوص تستوجب الوقوف عند مسألتين هامتين:
1- الصعوبات والمحاذير من استخدام طريقة التدريس بالنصوص.

تتلخص بما يلي:
أ- صعوبة متعلقة بالمنهاج بحدِّ ذاته (أي الكتاب المدرسي) الذي لا يحوي نصوصاً كافية لإيصال الطالب إلى إتقان هذه المهارة.
ب- صعوبة متعلقة بالمعلم وهي نابعة من الصعوبة الأولى التي تفرض على معلم المادة البحث والتفتيش عن النصوص في أمهات الكتب وهذا ما يتطلب وقتاً وجهداً اضافين كما يحتاج أيضاً إلى تدريب المعلم على مثل هذا الانتقاء وتحديد المهم والأهم من النصوص التي تخدم المعنى والمبنى وتؤدي المفهوم من فكر الفيلسوف. بالتالي مسؤولية كبرى ملقاة على عاتق المعلم من هذا المضمار تتطلب مساعدة لا بأس بها.
ج- الوقت الذي تحتاجه طريقة التدريس بالنصوص وقتاً مختصراً بل ساعات متعددة تكرس لتحقيق الهدف المنشود من الطريقة وهذا يفترض تخطيطاً مدروساً للساعات المحددة لإعطاء منهاج مادة الفلسفة.
د- صعوبة متعلقة بالمتعلم نفسه وهي القدرة والكفاءة المتوجب حضورها لدى الطالب عند التعامل مع نصوص أصلية هي لفلاسفة ومفكرين بالتالي هذا الأمر يتطلب مهارة وثقافة عاليين تختلف عما سبق واعتاد الطالب عليه من مراحل تقديم المعلومات الجاهزة أي طرق التلقين.
3- أهمية وفعالية طريقة التدريس بالنصوص بالرغم من الصعوبات والمحاذير.
بالرغم من كل ما سلف من محاذير يجب أخذها بعين الاعتبار إلاَّ أن طريقة التدريس بالنصوص في مادة الفلسفة هي الطريقة الأكثر فعالية والتي تؤدي الغاية والكفاية من الدرس الفلسفي.لأنها الطريقة التي يشترك فيها المتعلم في عملية التعلم فيصبح مساهماً فعلياً في إنتاج المعرفة لا متلقي سلبي فقط فتحقق بالتالي هدفاً من أهداف المناهج الجديدة وهي جعل الطالب الجوهر في العملية التعلمية.
كما تشيع هذه الطريقة الجو الديمقراطي داخل الصف التي تضع حدود لسلطة المعلم المنفردة ذات الطابع الأحادي في فرض الآراء وتقديم المعلومات الجاهزة التي تحمل في كثير من الأحيان وجهات نظر خاصة بالمعلم وإن بطريقة غير مباشرة .ومن أهمية هذه الطريقة أنها تشكل مساعداً مختلفاً في سير عملية التقويم بمعنى أنها توجه المتعلم ضمن التقويم البنائي خلال العملية التعلمية وليس فقط في نهايتها حيث التقويم النهائي.
التدريس بالنصوص يمنح المتعلم الثقة بالنفس والقدرة على تكوين الشخصية القوية فيصبح النقاش واستخراج المفهوم من النص طريقاً إلى تحويل الدرس الفلسفي إلى خبرة معيوشة تدفع الطالب إلى إتخاذ الموقف المناسب منها.
يبقى التدريس بالنصوص خاصية أساسية من خصائص طرق التدريس الناشطة التي ينبغي تكريسها بشكل فعال في العملية التعلمية خاصة أن هذه الطريقة تتجلى فيها الطريقة الحوارية التي تفسح في المجال أمام الشرح والنقاش والجدال البناء وطرح الأسئلة المفتوحة والمغلقة وتصويب الأفكار لدى الطالب وإغنائها.
ختاماً يمكن القول أنه إذا كان التفلسف أبعد ما يكون عن تبعية الفكر والنقل والتقليد فإن هذه الطريقة تساعد الطالب على إضفاء النكهة الشخصية والتفتيش عن الأفكار وتدعو العقل إلى الدقة في التفكير والقدرة على النقد والتحليل. كما تدرب الطالب على كتابة الموضوع الفلسفي لاحقاً والتمكن من المهارات والطرائق التي تسهم في تعليم الطالب كيف يتفلسف.

وطريقة المعالجة الخاصة بالنصوص المشكلة، التي تقتضي تحليل النص باعتباره أطروحة مقترحة (+)، ثم تقويمه للدفاع عنه (+) أو لانتقاده (-) أو لاكتشاف الإيجابيات والسلبيات، وصولا إلى بناء رأي شخصي: قد يكون تدعيما للأطروحة (+) أو رفعا لها (-) أو تركيبا [(+)×(-) أو تجاوزا (↑)]. ملاحظة : يشفع النص بالعبارة الآتية: أكتب مقالة فلسفية تعالج فيها مضمون النص

المحطات	الغرض منها			النقاط
طرح الإشكالية	تقديم "الوضعية المشكلة" الواردة في النص			4
	1- التمهيد : أ) المدخل : ما هو موضوع النص؟ - الانطلاق من مسلمات يأخذ بها الحس المشترك ؛ ب) المسار : مخالفة المسلمات إثارة للدهشة (انطلاقا من موضوع النص). 2 – طرح المشكلة (السؤال) : ما هي المشكلة التي يعالجها صاحب النص؟ صياغة المشكلة في سؤال رئيسي يتفرع إلى أسئلة جزئية إذ اقتضت الضرورة المنهجية ذلك .			
محاولة حل الإشكالية	تحليلها			4
	الجزء الأول	1- الموقف : منطق أطروحته: ما هو الحل الذي يقترحه صاحب النص ؟ 2- مسلماته و براهينه : ما هي البراهين التي يؤسس عليها صاحب النص موقفه ؟ تحليل أفكار النص : عرض أفكار النص وتحليلها .		
	الاندماج فيها			8
	الجزء الثاني	تقييم: 1- هل وفق صاحب النص في حل المشكلة؟ (عرض الآراء التي تؤيد موقف المؤلف) 2- ما هي قيمة استدلالاته؟ وهل الاستنتاج الذي انتهى إليه صاحب النص يعد منطقيا؟ 3- وهل هناك حل آخر للمشكلة؟ (عرض الآراء التي تعارض موقفه)	4	
	الجزء الثالث	ما هو الحل الذي تقترحه؟ - الموقف الشخصي	4	
حل الإشكالية	الخروج من "الوضعية المشكلة"			4
	1- حوصلة : ما هي النتائج التي يمكن الوصول إليها أو الحلول الممكنة ؟ 2- فتح الأفاق : ربط المشكل بفكرة أكثر عمومية أو بمشكل آخر.			
المجموع				20